عمر التلمساني

الإسلام
ونظرته السامية للمرأة

210.4
ت ع ا

دار التوزيع والنشر الإسلامية

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت: ٢٤٤٦٠٢٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٢٢
ترخيص رقم: (٧١)

عمر التلمسانى

٢١٠,٤

الإسلام
ونظرته السامية للمرأة

دار التوزيع والنشر الإسلامية
٨ ميدان السيدة زينب ت: ٩٣١٩٦١

ت : ٢٢٠٣٣٤٢
ت.ع : ٢٢٠٣٣٤٢

[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب الآية ٣٥) .

أية مرتبة من مراتب الإيمان اختصت بها الآية الرجال دون النساء ؟؟

لا شيء .

هل اختص الرجال بالمغفرة والأجر العظيم دون النساء ؟

قطعاً لا .

هل شعر إنسان بأية تفرقة ؟؟

هذه هى نظرة الإسلام السامية للمرأة الملتزمة بدينها المتقية لربها .

ولما أسكن الله آدم وحواء الجنة ، هل اختصه بشيء من نعيمها دون حواء ؟ ﴿ **وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾ (البقرة ٣٥) .

هل استمتع آدم دون حواء بشيء مما فى الجنة ؟؟

وهل التحذير من الاقتراب من الشجرة وجه إلى آدم دون حواء ، أو إلى حواء دون آدم ؟؟

هاتان آيتان استفتح بهما هذا الأمر تبركا وتوضيحا وتدليلا .

وأحب قبل أن أتطرق إلى الموضوع نفسه ، أن أقرر أن الإسلام يقوم على دعامتين : العقل والعاطفة ، إذا انفردت إحداهما قد يفقد المسلم بهذا الانفراد حلاوة الإيمان .

ولقد شنع الجاحدون على الإسلام فى نظرته إلى المرأة ، فعاطفتى تنكر هذا أولا ، وعقلى يقدم لى الأدلة على صحة هذه العاطفة . ولعل من دوافعى إلى الكتابة فى هذا الموضوع أن أمى امرأة ، ولها علىّ حق الاحترام ، وأن زوجتى امرأة ولها عندى حق المودة والرحمة ، وأن ابنتى أنثى ، ولها فى قلبى أعمق الحب ، وأن أختى امرأة ، ولها على واجب الرعاية والحنو . أية واحدة من هؤلاءكن ، أليس لها أسمى المنازل عند كل إنسان سوىّ ؟؟

والمسلم الحق إنسان سوىّ بل وغاية فى الاستواء . هذا إلى أنه أمر يستحق التفكير ، والتفكر فى ذاته عبادة . وحسبنا أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » رواه الديلمى عن أنس بسند ضعيف ، ورواه ابن حبان عن أبى هريرة .

كيف لا يكون للمرأة فى الإسلام ، مكانة قد لا يصل إليها الكثير من الرجال . وهذه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما تقول لابنها عبد الله بن الزبير ، وقد أحاطت به الأخطار من كل جانب (يابنى لا تقبل منهم خطة تجرف على نفسك منها الذل ، مخافة القتل ، فوالله لضربة سيف فى عز ، خير من ضربة سوط فى ذل) . لقد كرم الإسلام المرأة وأرضاها بما وضع لها من قواعد سامية واضحة . وفى كل العهود التى تمسك خلالها المسلمون بتعاليم دينهم تمتعت المرأة بكل ما هو حق لها كإنسانة سوية ، لها وجودها وكيانها الذى تعتز به . ما اعتبر الإسلام يوما المرأة أنها خلقت للجنس والفراش . جعل لها مثل الذى عليها ، واحترم رأيها وحمى ضعفها ثم يجرؤ بعد ذلك ، من فى نفوسهم غرض ، على أن الإسلام ، أهدر حقوق المرأة وأقعدها فى الحريم . إن الإسلام يوجه المرأة ، إلى ما فيه خيرها وصلاحها ، فى غير ما انتقاص ولا هوان ولا ابتذال .

أتدرى إلى أى مدى وصل اهتمام الإسلام بالمرأة ؟؟

إنه يرشدها إلى ما يكفل لها حياة زوجية هانئة . كيف ترضى زوجها ؟؟ كيف توفر له الراحة ؟؟ كيف تتفقد مواقع ذوقه وأنفه وسمعه وبصره فلا يجد فيها إلا رقة وريحا طيبة ، ومنظراً بهيجاً ، ومطعما شهياً ؟ وهذا عمر بن الخطاب يصف للمرأة كيف تطهو لزوجها طعاما طيبا فيقول لهن : (لا تذرن إحداكن الدقيق حتى يسخن الماء ، ثم تذره قليلا قليلا ، تسوطه بسوطها ، فإنه أريع له ، أى أشهى وأحرى ألا ينفرد ، أى يكلكع) الطبقات لابن سعد .

ألم يكثر عداة الإسلام من القول ،بأن المرأة المسلمة ليست كاملة الحرية فى اختيار شريك حياتها ، وأنها مرغمة على الزواج بمن يختاره أهلوها لها ؟

ليس هذا فى الإسلام على الإطلاق إنه يعطيها حقها الكامل فى الرفض أو القبول .

إن التطبيق العملى فى هذا المجال ، وصل إسلاميا إلى مستوى ما فوقه مرتضى ، بل أباح الإسلام أن تشترط على الخاطب ما تشاء ، مضافاً إلى حقها فى الرفض أو القبول .

خطب عمر بن الخطاب ، عاتكة بنت زيد القرشية ،

فاشترطت عليه ألا يمنعها من المسجد وألا يسيء إليها . فقبل .

وإذا تقدم لها عدد من الخاطبين فلها وحدها حق الاختيار منهم . خطب عمر وعلى والزبير وطلحة أم أبان بنت عتبة فاختارت طلحة .

أرأيت ؟؟ أمير المؤمنين أحد الخاطبين ، فترفضه وتفضل عليه آخر من الرعية ... لا إرغام ... لا استعمال سلطة ... لا غضب . هل بعد ذلك من حرية فى اختيار الزوج .

الرجال قوّامون

ان الله جل جلاله حدد وضع المرأة فى المجتمع الإسلامى بشكل لا يدع مجالا للشك ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (البقرة ٢٢٨) وما أظن هذه الدرجة إلا من ناحية الإنفاق والرعاية والحماية ، ووحدة الإشراف . بل منع الرجل من مضايقة زوجته ، إرغاما لها على افتداء نفسها .

﴿ **وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ** ﴾ (الطلاق ٦) .

لقد كانت المرأة المسلمة صاحبة حق مطلق فى مصارحة الخاطب بما يعجبها فيه ، وما لا يعجبها . أى أنها لم تكن ممنوعة

من رؤية الخاطب والتفاهم معه على ما يضمن حياه زوجية هانئة . خطب أبو طلحة الأنصارى وهو مشرك ، أم سليم بنت ملحان ، وهى مسلمة ، فلم تتحرج من مواجهته برأيها فيه ، إذ قالت له : أما إنى فيك راغبة ، وما مثلك يرد ، ولكنك كافر ، وأنا امرأة مسلمة ، فإن تسلم فذلك مهرى ، ولا أسألك غيره ، فأسلم وتزوجها وحسن إسلامه .

إنَّ الخلق فى البشر أنواع ، فخلق طيب كريم ، وخلق معوج سقيم . ولكل أسلوب فى التعامل والتقويم ولذلك قال الله تعالى فى كتابه الكريم : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ (النساء ٣٤) .

من جهة تحمل أعباء الجهاد ، والسعى على الرزق ، وحماية العرض ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ (النساء ٣٤) .

وهذا الصنف الطيب من النساء لا تمتد إليه يد الزوج ولا لسانه بسوء ﴿ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ (النساء ٣٤) . وهنا خيل لأعداء الإسلام أنها فرصة يهاجمون بها الإسلام !!!

كيف يضرب الرجل زوجته ؟؟ إنها وحشية الإسلام !!

ولو كانوا منصفين يريدون الحق لذات الحق لعلموا أن هذا الضرب ما كان يستعمل فيه إلا هدب الثوب وما إليه ، مع اجتناب الوجه ، وما أظن صادقاً أن هذا ضرب حقيقى ، وإن سمى فى القرآن ضرباً .

بل إن التطبيق العملى بدا فى تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم ، مع زوجاته أمهات المؤمنين رضوان الله عليهم ، رغم ما كن يسببنه له من مضايقات ، لم تزد تصرفاته صلى الله عليه وسلم فى هذه المؤاخذات أكثر من أن يهجرهن ويعتكف فى المسجد .

ولما جاءه أحد المسلمين يشكو أن زوجه فى لسانها شيء من البذاءة . قال له (طلقها إذاً) فقال الرجل : إن لى منها ولدا وإن لها صحبة . قال (فمرها فإن يكن فيها خير فستفعل) مرها بمعنى عظها . لم يأمر بالضرب أو الإساءة . فلما كثر النشوز فى النساء وقيل له إنهن فسدن قال (اضربوهن ولا يضرب إلا شراركم) ابن سعد عن القاسم بن محمد .

ثم أى مسلم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يضرب واحدة من زوجاته وجعل ضرب الزوجات لا يقع إلا

من شرار الأزواج ، من يعلم هذا ثم يقدم على ضرب زوجته ؟

أيكفيكم هذا يا عداة الإسلام ؟؟ أم أن ما فى القلب سيظل فى القلب كما هو ؟؟

هكذا المرأة فى الإسلام موفورة الكرامة ، وافرة الحقوق ، مستكملة الحريات .

إن هؤلاء الذين يتلمسونْ سوء حال المرأة فى الإسلام ، وما هو بسيىء ، يحطمون فى المرأة الغربية كل معانى الكرامة الإنسانية بما يتخذون من خليلات ، وما يتجرون به أعراض النساء من الرقيق الابيض ، وما أتعس من ذلك وأبأس . لم يجدوا فى الورد عيبا فقالوا ياأحمر الخدين !!

مساواة

ألا يكفى إقراراًبفضل النساء فى الإسلام ، أن أول من أسلم من الرجال والنساء كانت امرأة هى السيدة خديجة بنت خويلد ؟؟ وليس بعد ذلك من تشريف للمرأة فى الإسلام ورفع لقدرها .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يسوى بين المرأة والرجل فى العطف والموالاة فكما كان يعود المرضى من

الرجال . كان يعود المرضى من النساء ، فلو كانت هناك تفرقة لاكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بزيارة الرجال دون النساء ولكنه كان ينظر إليهن بنفس التقدير والعطف والحنان . روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه دخل على امرأة من الأنصار يعودها . فقال : كيف تجدينك ؟ قالت خير وقد برحت بها أم ملدم (كنية عن الحمى) فقال : اصبرى فإنها تذهب من خبث الإنسان . كما تذهب النار خبث الحديد » (أسد الغابة ج ٧ ص ٣٤٥)

وهكذا لم تكن المرأة فى الإسلام من سقط المتاع ، ولكنها كانت موضع النظر حتى إنها لتعاد إذا مرضت كما يعاد الرجال .

إن للمرأة عند رسول الله ﷺ ، ما للرجل تماما من الاحترام والتقدير والتبريك .

وكما كان يعامل الرجال فى المناسبات ، كان يعامل النساء بالمثل ، حتى لا تشعر المرأة أنها أقل قدرا من الرجل فى موازين المعاملة الإسلامية . فقد كفن فاطمة بنت أسد فى قميصه واضطجع فى قبرها وجزاها خيرا .

فقالوا : مانراك صنعت بأحد ، ماصنعت بهذه ؟؟

قال « إنه لم يكن بعد أبى طالب أبر بى منها ، إنما ألبستها قميصى لتكسى من حلل الجنة واضطجعت فى قبرها ليهون عليها عذاب

القبر » (أسد الغابة ج ٧ ص ١٢٧) .

فأنت ترى من هذه الواقعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صنع مع امرأة مسلمة ، ما لم يصنعه مع أحد من الرجال .

أهكذا ينتقص قدر المرأة فى الإسلام ، وتجهل مكانتها ، ولا يهتم بها ؟؟ إن هذا هو التطبيق العملى الإسلامى لقدر المرأة ، والاعتراف بمكانتها فى المجتمع الإسلامى .
ولكن : على من تقرأ مزاميرك يا داود ؟؟

أيتها المسلمات إنكن فى الإسلام لستن مغمورات ولا مضيعات ، كما يريد أعداء الإسلام ، أن يصوروا وضع المرأة فى هذا الدين الحنيف .

ولقد كانت أيام الأعياد مناسبات فرح وسرور ، فقد اشتركت المرأة مع الرجال فى بهجة هذه الأعياد ، وما كان أمر الاهتمام قاصرا على الرجال . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دقيق العناية بمكان المرأة فى المجتمع الإسلامى ، حتى لقد كان يرى من متممات بهجة الأعياد ، إدخال السرور والأنس على الزوجات ، فيبعث عليا رضى الله عنه وكرم الله وجهه ينادى بمعنى : أنها أيام أكل وشرب وبعال .

أرأيت إلى أى حد يرعى رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة في كل المناسبات ؟؟!!

قدوة حسنة

كان الصحابة رضوان الله عليهم ، يعرفون تصرفات رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزله وترفقه بزوجاته ، فكان يكنس المنزل ويرقع الثياب ، ويقوم بالعجين أحيانا ، فكانوا يشاركون في مثل هذه الأعمال في منازلهم . فإن شغلهم شاغل وكان في البيت أكثر من امرأة ، قسم العمل بينهم ، حتى لا يحدث بينهن ما يدعو إلى الشقاق بسبب تزاحم الأعمال . فهذا على رضى الله عنه وكرم الله وجهه ، يقول لأمه فاطمة بنت أسد : اكفى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سقاية الماء ، والذهاب والحاجة وتكفيك فى الداخل الطحين والعجين .

مخلوق كريم

المرأة المسلمة فى بيتها حرة تستقبل من تشاء ، وترفض استقبال من تشاء ، لأنها حرة الإرادة فلا ترغم على ما لا تريد ، ولزاما على الرجل المسلم أن يرعى عاطفتها فى هذا

المجال ، لأنه بدوره حر فى استقبال من يشاء . ويرفض استقبال من لا يريد استقباله . وبذلك تتعادل كفتا الميزان . فلا هى مقهورة ، ولا هو محرج . وهل بغير مثل هذا التجاوب العاطفى يمكن أن يتم فى منزل الزوجية استقرار ؟؟ حتى هذا راعاه الإسلام ، إشعاراً للمرأة بأنها مخلوق كريم . له حقوق وعليه التزامات .

انسجام عاطفى

بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حصل فتور فى العلاقات بين السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وجاء أبو بكر يعود فاطمة يوما ، فلم يأذن له علىّ بالدخول ، حتى يعرف رأى السيدة فاطمة فى استقباله من عدمه . وعاد على رضى الله عنه وكرم الله وجهه يقول لفاطمة رضى الله عنها : هذا أبو بكر بالباب ، فإن شئت أن تأذنى له ؟؟ فقالت له : وذلك أحب إليك ؟؟ قال نعم فأذنت له ودخل عليها .

هل رأيت مدى الانسجام العاطفى النبيل بين الزوجين المسلمين ؟؟ الزوج لا يأذن ، حتى لأمير المؤمنين ، بعيادة

زوجته ، إلا إذا رضيت بهذا . والزوجة فى نفس الوقت تتلمس موقع الرضا من زوجها ، فلما التقت الإرادتان تمت الزيارة . الزوج لم يرغم الزوجة والزوجة لم تحرج الزوج . فهل بعد ذلك يقال إن للمرأة المسلمة فى المجتمع الإسلامى وضعاً غير كريم !!

مكانة رفيعة

ان المرأة المسلمة غير ملزمة بخدمة زوجها شرعاً ، فإن فعلت فهى متفضلة وليست بمجبرة وهذا جائز لها بالإجماع . أما إلزامها بذلك فمرفوض . لا تتعجل أيها المسلم فيدهشك الخبر ، وقد تنكره ، ولكن هذا هو إسلامك ، الذى باعدت بينك وبينه المكائد والمؤامرات حتى إذا ما فترت الصلة بينك وبين تعاليم دينك ، أصبحت لقمة سائغة ، سهلة الابتلاع والهضم على أعداء الإسلام .

إنى لن أتركك فى حيرتك وشكك ، ولكنى أقدم لك الدليل على عدم إلزام المرأة بخدمة زوجها . ارجع إلى صحيح مسلم (ج ٥ ص ٦٢٧) طبعة دار الشعب ستجد الدليل واضحا هناك ، وما أظنك تشك فى صحيح مسلم ، وهو أحد الصحيحين المعترف بهما من الجمهور . هذا هو حقك فى

دينك أيتها المسلمة . ان لك فى الإسلام مكانا رفيعا .

مزاح برىء

لم تكن المرأة المسلمة آلة صماء فى منزل الزوجية ، تتحرك بإشارة من زوجها القاسى ، وتتوقف بإشارة من زوجها الغضوب . لم تكن فى بيتها متجهمة ، ولا أمام زوجها عابسة ، ولكنها تضحك وتمرح ، وذات دعابة بريئة ، تدخل بها الراحة والسرور على قلب زوجها الحنون . وهذه هى السيدة سودة بنت زمعة أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد السيدة خديجة رضى الله عنها ، تمازح رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول له : صليت خلفك البارحة فركعت حتى أمسكت بأنفى مخافة أن يقطر الدم فضحك وكانت تضحكه الأحيان بالشىء (الطبقات ج ٨ ص ٣٧) .

حرية كاملة

بلغ من مراعاة المرأة ومكانتها فى الإسلام أن أطلق لها ميولها وهواها فى معاشرة من تحب ولم يرغمها على أن تخضع للعيش مع من لا تحب وتهوى .

ألم يقولوا إن المرأة المسلمة فى الحريم وإنها مرغمة على البقاء فى بيت الزوجية ، كرهت أو رضيت ، شقيت أو سعدت ، وأن الزوج وحده هو المتصرف فى مصيرها مادام هو صاحب الحق فى الطلاق !

وهذه تهمة منقوضة من أساسها ، فمن حق المرأة المسلمة عند الزواج أن تطلب أن تكون العصمة بيدها . كما أن من حقها إذا ضارها الزوج أن تطلب الانفصال إذا أثبتت سوء المعاشرة . ليست هذه مجرد نظريات فلسفية ندافع بها عن الإسلام فى هذه الناحية . وإليك الواقع العملى فى هذا المقام . قال ابن عمر : توفى خالى قدامة بن مظعون فأوصى إلى أخيه عثمان بن مظعون . ودخل المغيرة بن شعبة على زوج قدامة فرغّبها بالمال فى الزواج من ابنتها ، ابنة خالى ، وكان رأى البنت مع أمها . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عثمان فقال : يارسول الله ابنة أخى ولم آلُ أن أختار لها؟! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألحقها بهواها فإنها أحق بنفسها » فانتزعها منى (من ابن عمر) وزوجها المغيرة بن شعبة (أسد الغابة ج ٤ ص ٣٩٤) .

عمل المرأة

انقسم المتحدثون عن إباحة العمل للمرأة إلى ثلاث فرق . فرقة لا تبيح للمرأة العمل وفرقة تبيحه بلا قيد ولا شرط ، وفرقة توسطت الأمر ، حيث أباحت للمرأة العمل بقيود . ولعل الفرقة الأخيرة كانت أقرب الفرق إلى تعاليم الإسلام فى هذا المجال . ذلك أن الإسلام لا اعتراض له على أن تكون المرأة طبيبة سيدات أو مدرسة بنات ، أو مشرفة اجتماعية ، أو ممرضة أو باحثة من أى نوع ، أو مؤلفة ، أو حائكة ، وعلى الجملة للمرأة المسلمة أن تزاول أى عمل يتناسب مع أنوثتها ، وتكوينها الطبيعى جسمياً أو ذهنياً .

بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحض النساء على العمل بقوله : « نِعم لهو المؤمنة فى بيتها المغزل » (أسد الغابة ج ١ ص ٢٤١)

فليست المرأة فى الإسلام قعيدة بيت أو حبيسة دار . ولكنها إنسانة تسوس البيت وتعمل وتلهو لهو الشرفاء ، وتكافأ من مال الدولة إذا قامت بعمل نافع ، فقد فرض عمر بن الخطاب للنساء المهاجرات ألفين ألفين . وهذه زوجة أمير من أمراء الأمصار ، لا ترى لنفسها الإخلاد إلى الكسل والتراخى

مادامت امرأة أمير ، ولها من الخدم العدد الوفير ولكنها تفضل العمل إن لم يكن لكسب العيش ، فليكن للصدقة على المحتاجين ، ومن كسب يدها لا من مال زوجها .

عن عبد الله القرشي : دخلت على هند بنت المهلب بن أبى صفرة وهى امرأة الحجاج وبيدها مغزل تغزل به . فقلت لها : أتغزلين وأنت امرأة أمير ؟؟ قالت إن أبى يحدث عن جدى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أطولكن طاقا أعظمكن أجرا » .

فهى إذا لم تكن نزيلة حريم ، أو لصيقة خدر ، كما يزعم خصوم الإسلام .

إن الإسلام لم ينظر فى يوم من الأيام إلى المرأة على أنها عضو أقل فى المجتمع الإسلامى ولم ينظر إليها كمتعة جنسية للرجل ، حتى أنه لما حض على الزواج ، جعل أساس هذا الحض التناسل لا قضاء الشهوة ، وبهذا ترتفع مكانة المرأة المسلمة إلى مستوى لا تصل إلى مثله امرأة فى أى مجتمع آخر .

لا إرغام للمرأة

فقد بلغ الأمر فى الإسلام بالنسبة للمرأة ، أنه لم يرغمها على

تحمل شظف العيش مع زوج لا يستطيع الإنفاق الميسر ، فان قبلت فذلك فضل منها وخلق ، وإن أبت فليس للزوج أن يحبسها على فقره إذ القاعدة القرآنية أن الله لايكلف إنسانا إلا مايطيق ويحتمل وإلا تعرض المسلمون للفتنة .

ان الله جل شأنه أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخير أزواجه بين الحياة الدنيا وزينتها فيسرحهن سراحا جميلا ، وبين الرضا بعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو العيش الذى نعلمه جميعا ، لقاء ما ينتظرهن من نعيم الآخرة فاخترن ما يليق بمكانتهن كأمهات للمسلمين ، وزوجات لأشرف الخلق أجمعين عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم ﴿ **يَـٰأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً** ﴾ (الاحزاب ٢٨ ، ٢٩)

حرية إبداء الرأى

إن المرأة المسلمة كانت تناقش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تحرجه ، فيقول اشرحى لها يا عائشة ، وقال حديثه المعروف « رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء من

التفقه فى الدين) .

لقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء على أمور يجب عليهن اجتنابها ، وكانت من بينهن هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان بن حرب ، فلما سمعت ما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهن اجتنابه ، ذهلت هند ، ولم يمنعها مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن تعترضه فى دهشة قائلة : أتعلم فى نساء قومك هذه الصمات والعاهات . (أسد الغابة ج ٧ ص ٢٢٩)

وإنه لسمو فى المكانة الخلقية أن ترى هند ، أن اجتناب مثل هذه السيئات أمر بديهى لا حاجة لأمرها به ، بل قيل إنها سألته محتجة : أو تزنى الحرة يا رسول الله ؟ هذه هى المرأة المسلمة ، وهذه هى صراحتها فى النقاش ، وهذه هى حريتها الكاملة فى الاعتراض . لطف الله بخصوم الإسلام ، فإن نار كراهيتهم للإسلام ، لم توقفهم عند حد من التجنى ومجانبة الفهم السليم !!

مشـــاركة

إن المرأة المسلمة شاركت فى مواقف الشدة والبأس والقتال ، وتحمل الأعباء والتكاليف الثقال ، مع الرجال ، جنبا

إلى جنب ، سواء بسواء . فقد شهدت فريعة بنت مالك بن سنان بيعة الرضوان ، وقد كانت بيعة عدم الفرار عند اللقاء (أسد الغابة ج ٧ ص ٢٣٥)

ألم تكن المرأة المسلمة أول شهيد فى الإسلام من الرجال والنساء ؟! فما كان أول شهيد فى الإسلام رجلا ، ولكنها كانت السيدة سمية رضى الله عنها وأرضاها .

وفى ساعات الروع والجهاد لم تلزم المرأة المسلمة بيتها ، وتغلق بابها عليها اكتفاء بعبء الجهاد على الرجال ولكنها شاركتهم فى كل المجالات ، فقد كانت ليلى الغفارية تخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مغازيه تداوى الجرحى وتقوم على المرضى (أسد الغابة ج ٧ ص ٢٥٩)

حتى ميادين التجارة غزتها المرأة المسلمة فى جرأة ونجاح .
لم تكن جزءاً مشلولا عالة على المجتمع الإسلامى لا ترى إلا الجدران الأربعة ، والأبواب المغلقة والنوافذ الموصدة .
لم تكن مهمتها قاصرة على القبوع فى خدرها تستقبل زوجها إذا حضر وتودعه إذا انصرف .

كانت أكثر حيوية وفاعلية من ذلك . تزاول كل مايزاوله الرجال محصنة بإيمانها موفرة بعفافها .

قالت قَيْلَة الأنمارية : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عند المروة يحل من عمرة . فجلست إليه وقلت له : يا رسول الله إنى امرأة أبيع وأشترى ، فربما أردت أن أبيع سلعة فأستام بها أكثر مما أريد حتى آخذها بالذى أريد وإذا أردت أن أشترى سلعة سمت بها أقل مما أريد حتى أخذها بالذى أريد فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تفعلى قَيْلَة . إذا أردت أن تشترى السلعة فاستامى بها الذى تريدين أن تأخذى به ، أعطيت أو منعت »

هاهى المرأة المسلمة تغشى الأسواق ، تبيع وتشترى محصنة بتعاليم دينها القويم ، تخرج وتدخل تسعى على رزقها ، بلا تأثم ولا تحرج .

ماذا تريدون فى حرية المرأة المسلمة أكثر من هذا ؟؟ إنها الجزء المكمل للمجتمع الإسلامى فى أبهى صوره وأشق متاعبه .

تضحية

أما من ناحية التضحية من أجل عقيدتها ، فما قلّت عن الرجل فى هذا المقام النبيل . محتملة فى ذلك أشد أنواع العذاب ، بما لا يقل عن الرجال فى شىء ، لا يزلزل إيمانها ولا ينال من رسوخ عقيدتها ، وتمسكها بِمُثُلِ دينها السامية ،

أى ظلم أو إعنات مهما بلغت شدته أو قسوته أو رهبته ؟! .

فهذه زنيره جارية بنى مؤمن ، والمهدية وابنتها وكثيرات ممن لا يحصيهن العد ، أو يحيط بهن الحصر ، كن قمما فى هذا الفداء ، وهذا الوفاء .

وهكذا كانت المرأة المسلمة يثبت وجودها فى المجتمع الإسلامى وجودا مشرّفا ، على أعلى مستوياته إيمانا وصدقا واحتسابا . ولقد كانت أم سليم يوم حنين ، من بين الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى ممسكة بعيرا لأبى طلحة ، فى يدهاخنجر تضرب دفاعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (القرطبى ص ٢٩٣٦)

وأعلم كذلك أن أسماء بنت يزيد بن السكن ، قتلت يوم اليرموك ، تسعة من الروم بعمود فسطاطها .

كانت المرأة المسلمة تتقدم للتضحية والجهاد الإسلامى ، قالت أميمة بنت قيس بن أبى السلط الغفارية : جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة من غفار ، فقلنا إنا نريد أن نخرج معك فى وجهك هذا فنداوى الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : على بركة الله (أسد الغابة ج ٧ ص ٣١) .

أمثال هؤلاء السيدات الفضليات هل كانت مهمتهن في حياتهن ، قاصرة على البقاء في بيوتهن لا يخرجن ولا يعملن ؟!

أهذا هو الدين الذى ينزل المرأة المسلمة منزلة لا تليق بها كإنسان له خطره وقدره في المجتمع الإنساني الذى هو قسمة بينها وبين الرجل ، والذى لا استقامة له ، إلا بالمشاركة فيه من الاثنين في كثير من نواحيه وأركانه ومقوماته .

أما شجاعتها واستبسالها في ميادين الجهاد ، فقد بلغت به الذروة التى لا تنقص فيها عن الرجال شيئا . عن أم موسى اللخمية ، أنها شهدت اليرموك ، وتقول « بينما نحن مع جماعة من النساء ، إذ جال الرجال جولة ، فأبصرت أعجمياً يجر رجلا من المسلمين ، فأخذت عمود الفسطاط ثم دنوت منه فشدخت رأسه ، وأقبلت أسلبه فأعانني الرجل على أخذه » وقتلت أم حكيم بنت الزبير بن عبد المطلب يوم مرج الصفر سبعة بعمود الفسطاط الذى بات خالد بن سعيد معرسا بها فيه (الإصابة ج ٤ ص ٤٢٥)

ظلم وتجن

هذه هى المرأة المسلمة تشارك الرجل في كل ضروب

الحياة ، حتى ميادين القتال . ثم يقال ظلما وتجنيا ، إن المراة المسلمة ، لا أثر لها فى المجتمع الإسلامى ، وإن الإسلام هو الذى قضى عليها بذلك .

إن هذا القول لا يقوله إلا جاهل أو جاحد ، وكلاهما لا وزن لكلامه ، ولا احترام لما يقول .

إن تصرفات بعض الرجال فى العصور المختلفة الأخيرة ، وضعف المسلمين وقوة خصومهم ، هى التى سهلت لمثل هذا الافتراء أن يسود فى الأذهان ، ولا دخل للإسلام فى هذا على الإطلاق ، فقد أعطاها حقها ، وحفظ لها مكانتها ، وأعلى قدرها ، وأثبت وجودها ، وأعلى من شأنها إلى مالا يماثله فيه دين غيره .

المرأة فى المجتمع الإسلامى

تعال نتحدث عن وضع المرأة المسلمة فى المجتمع الإسلامى من الناحية الفقهية ، التى يقول بعض المتحذلقين !! إن الإخوان المسلمين ، ليست لديهم ثقافة فقهية . إنهم لا يدعون شيئا يعرفون أن وضعهم كدعاة يحتم عليهم الإحاطة بشىء منه . إنهم لا يتعالمون ولكنهم يتواضعون ولا يشقشقون ولكنهم يطبقون ، ويعيشون إسلامهم عمليا ، بكل ما ألزمهم

الله فيه .

للمرأة المسلمة الصالحة أن يزورها الجماعة من الرجال ، ويسمعوا كلامها (مسلم ج ٥ ص ٣١٩) وإنّ صوتها فى الجد والخير ليس بعورة ، وإلا لما سمحت الصديقة بنت الصديق أن يسألها الرجال وأن تجيب ، وغيرها وغيرها من فضليات المؤمنات .

ولا جدال فى أن المرأة المسلمة من حقها أن تخرج فيما تحتاج إليه أمورها الجائزة ، ولكن على حالة لا تمتد إليها فيها الأعين (مسلم ج ٥ ص ١٥)

وأنا لست على استعداد أن أجادل فى هذا المقام ومن أراد أن ينكره فليرد على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التى وردت فى صحيح مسلم وتفسيرها لها ، هذا ان وجد فى نفسه القدرة والجرأة على هذا .

إن الإسلام لا يطلب من المرأة المسلمة إلا الاحتشام ، فهل تكره الطاهرة العفيفة الاحتشام ؟!! إن الاسلام لاينهى المرأة المسلمة إلا عن الابتذال فهل تهوى التقية النقية الإبتذال ؟؟

ولا يضير المرأة المسلمة الصالحة أن تستضيف زوارها من أفاضل الرجال ، بل إن هذا من المستحب لهن (مسلم ج ٣

ص ٦٩٨ طبعة دار الشعب)

إذا فليس مفروضا عليها من الناحية الإسلامية أن تضرب على وجهها نقابا ، ولم ينهها فى نفس الوقت عن وضعه ، إنما المطلوب من المتنقبات وقد تشددن فى هذه الناحية ، أن يكففن ألسنتهن عن غير المتنقبات ، فعدم وضع النقاب خير ألف مرة من الناحية الإسلامية وأدب الإسلام من النيل من الأخريات بألفاظ يجب أن تعف عنها ألسنة المتنقبات ، وكما رضين لأنفسهن وضع نقاب على وجوههن ، كذلك يجب أن يضعن نقابا على ألسنتهن يحميهن من حساب الله ، يوم أن يسألهن عما قلنه فى غيرهن . أم أننا كالعطار المهمل الذى يضيع المستكة ويحتفظ بالورق ؟!!!

سفر المرأة

كثيراً ما يقوم الخلاف بين الفقهاء عن سفر المرأة دون محرم ، حتى يبلغ الأمر إلى حد الاتهام فى الدين . ولكننا لوأخذنا الأمر على الصورة التى جاء بها هذا الدين الحنيف ، وهى مصلحة البشر جميعا وتوفير كل مقومات السعادة الإنسانية فى دائرة الحلال والحرام . لو أخذنا تعاليم ديننا هذا المأخذ السليم ، لضاقت شقة الخلاف بيننا .

إن الإسلام أجاز للمرأة المسلمة أن تسافر وحدها بلا زوج ولا محرم إذا كان سفر ضرورة (النووى على مسلم ج ٤ ص ١٨٢) هذا بالاضافة إلى أن كلام الأجنبية مباح وصوتها ليس بعورة (مسلم ج ٤ ص ٥٣١) .

والتطبيق العملى أنَّ علية بنت حسان مولاة لبنى شيبان ، وكانت امرأة عاقلة نبيلة ، كان يزورها صالح المرى وغيره من وجوه البصرة وفقهائها ، فتحادثهم وتسائلهم (مسلم ج ١ ص ٥٤)

فهل كانت المرأة صماء خرساء لا تَرَى ولا تُرَى ، ولا تُحادِثُ ولا تُحادَثُ ؟!

لقد كانت زينب بنت السيدة أم سلمة أم المؤمنين أفقه امرأة فى المدينة يومئذ (ابن كثير ج ١ ص٢٩٣)
كيف عرف التاريخ أنها كانت أفقه امرأة فى المدينة يومذاك ؟؟
لأنها كانت تغلق بابها على نفسها فلا تسأل ولا تجيب ؟؟
أم أن الوضع كان على غير ذلك ؟؟

ما هذا التزمت الذى يجعل الإسلام عرضة للقيل والقال ، بعد أن وصل المسلمون إلى هذا المستوى من الضعف والانحلال ؟؟ انفضوا الرماد الذى كدسته السنون على إشراق

دينكم ، ليعلم الناس ما فيه من روعة وجلال ، فى كل ناحية من نواحى الحياة .

تعليم المرأة

إن الإسلام الذى رفع من شأن العلم ، لم يقصره على الرجال ، ولعل الحديث المعروف قوى سنده أو ضعف فيه ما يؤكد هذا المعنى ، إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » يعنى السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وأرضاها .

فالإسلام لم يحرم على المرأة أن تتعلم . والمرأة المسلمة بدورها ، شعورا منها بمكانتها ومنزلتها فى المجتمع الإسلامى ، لم تكتف بأن تتعلم فحسب ، بل حرصت أن تكون فقيهة كذلك وهذا بفضل تعاليم الإسلام ، الذى يزعمون أنه يحط من قدر المرأة .

تكريم للمرأة

فى دور النساء ، لا الرجال ، كانت تعقد أخطر المؤتمرات ، ولم ينقص من قدر المؤتمر أنه يعقد فى بيت امرأة لا زوج لها .

ففى بيت فاطمة بنت قيس بن خالد ، اجتمع أصحاب الشورى بعد اغتيال عمر بن الخطاب ، وفيه أصدروا قرارهم باختيار عثمان بن عفان أميراً للمؤمنين . أليس هذا مظهراً من مظاهر احترام المسلمة ، وأنها لا تقل مكانة عن الرجل حتى فى أخطر الأمور . وأحيانا ما كانت بعض الشعائر الإسلامية تقام من فوق بيت امرأة مسلمة . فمن فوق بيت النوار بنت مالك كان بلال يؤذن أول ما أذن فى المدينة (الطبقات ج ٣ ص ٣٥٧ طبعة دار الشعب) .

زينة المرأة

والإسلام لا يحول بين المرأة وبين التزين والتجمل حتى للأبكار ، أمام من يباح لها التزين والتجمل أمامهم .. تقول أم رعلة القشيرية : يا رسول الله ، انى امرأة مقينة ، أقين النساء وأزينهن لأزواجهن ، فهل هو حوب فأثبط عنه ؟؟ فقال لها : « يا أم رعلة قينيهن وزينيهن إذا كسدن » (الإصابة ج ٤ ص ٤٣١)

وهكذا كان فى الصدر الاول من الإسلام (كوافيرات) لتجميل النساء والتولته .

وأحب أن ألفت نظرك إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا كسدن) فله دلالته الواضحة ، التى تحدد إلى مدى بعيد ضرورة التجمل .
آلا جل وعلا شأن صاحب هذا الدين وتبارك وتعالى .

وهكذا وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى المدينة من تخصص من النساء المسلمات فى تجميل السيدات والفتيات لحلائلهن لاتتخرجن إلى الطرقات كاسيات عاريات ، مائلات مميلات .

وعن امرأة من الانصار صلت إلى القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اختضبى ... تترك احداكن الخضاب حتى تكون يدها كيدى الرجل !! » قالت فما تركت الخضاب ، وان كانت لتختضب وهى ابنة الثمانين .
إلى هذا الحد يعنى الإسلام بأنوثة المرأة ، وما أظن أن هذه العناية هى احتقار المرأة وإهمالها واعتبارها لا قيمة لها فى مجتمع المسلمين ، ولكنه يعنى بها عناية لا حد لها من كل نواحيها .

ان الذين يضيقون على النساء ، حتى ليريدون أن يجعلوهن حبيسات جدران أربعة قد أسدلن النقاب على وجوهن .

ان الله لم يأمر النساء أن يسدلن على وجوههن ، كما لم يأمرهن ألا يضعن ستارا على وجوههن . فمابال المتنقبات يردن أن يحملن النساء جميعا على وضع النقاب ، خاصة ونحن فى ظروف وملابسات تستوجب البعد عن هذه الستارة التى قد تجر كثيرا من الأخطار .

وهاته السيدات الفقيهات هل كن يدرسن وهن متنقبات ؟ أننى لا أنكر أحد الرأيين ، ولكن جانب المصلحة فى العصر الحديث الحالى يجعلنى أغلب جانب الإسفار على جانب النقاب دون أن أخطىء أحدا أو أدخل معه فى نقاش خاص بهذا الأمر ، وحسبنا ما نحن فيه .

لقد تصدت المرأة المسلمة للتعليم والوعظ والإرشاد فهذه السيدة أم الخير الحجازية تصدرت حلقات وعظ وإرشاد بجامع عمرو بن العاص فى القرن الرابع الهجرى ، وما أظنها كانت متنقبة .

درس عظيم

لم تكن المرأة المسلمة كماً مهملا ، لا قدر لها ولا احترام ، أو لايهمها أن يكون لها قدر أو احترام . انها كانت تحترم نفسها باحترام تعاليم دينها ، وإذا غفل من حولها عن هذه التعاليم فى أية

مناسبة ، ردته إلى الصواب فى اعتداد ، قتل ابن معاذة العدوية فاجتمعت النساء عندها ، فقالت لهن : مرحبا بكن ان كنتن جئتن لتهنئننى ، فإن كنتن جئتن لغير هذا فارجعن .

أرأيت كيف ترى المرأة المسلمة أن استشهاد ابنها فى سبيل الله أمرا يستحق التهنئة .

هذه هى الروح التى يعلو بها شأن الأمم . وأنه لدرس عن طريق امرأة يجب أن نفقهه لنقدره ، ولنقول للناس جميعا هذه هى المرأة المسلمة فى أبهى صور الكمال الخلقى والاجتماعى .

اذا أقيم عرس ، كانت المرأة هى التى تقوم على خدمة الرجال .

هكذا فعلت أم أسيد الأنصارية ، حين دعا زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته للطعام ، وقربته هى إليهم بنفسها وفى حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم ينكر عليها شيئا (أسد الغابة ج ٧ ص ٣٠٠ طبعة دار الشعب) .

كان سلفنا الصالح يعرف للمرأة قدرها ومكانتها ،حتى فى العلم . كانت تصحح لهم أخطاءهم فينزلون عند رأيها ، وهم من هم ، علما وإيمانا ، لم يحل بينها وبين أداء واجبها فى هذا أى قيد من القيود التى يزعمون أن الإسلام قيد بها المرأة المسلمة .

قال كعب : نازعت عمر بن الخطاب فى المتوفى عنها زوجها وهى حامل ، فقلت تتزوج إذا وضعت . فقالت أم الطفيل : قد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة الأسلمية أن تنكح إذا وضعت .

انهن كن يعلمن الناس ، ولا يكتفين بأن يتعلمن ، ولكنهن كن يعلمن ، وقد كان بعض الصحابة يقرءون على أم سعد بنت الربيع ، فتصحح لهم أغلاطهم . ليس هذا فحسب ، بل ان بعض المسلمات كن يقمن بنشر الدعوة الإسلامية فى جد وحماس ، أثار خصوم الإسلام فأخرجوها من مكة ، لأنها آثرت المضى فى نشر الدعوة ، مهما كلفها ذلك من متاعب وتشريد .

كانت أم شريك الدوسية تدخل على نساء قريش فتدعوهن سرا إلى الإسلام وترغبهن فيه ، حتى ظهر أمرها بمكة ، فأخذها المشركون وسيروها إلى أهلها . وهكذا تحملت المرأة فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعهد الصحابة رضوان الله عليهم ، ما تحمله الرجال من ايذاء ونفى وتشريد فى سبيل العقيدة ويأتى اليوم من يدعى أن الإسلام لم يعط المرأة مكانها فى المجتمع الإسلامى .

حرية

قد يضرب مسلم زوجته ، فهل ألزمها الإسلام أن تستسلم لهذا الإيذاء ، وأن عليها أن تتقبل ما يفعله زوجها بها راغمة مستسلمة ؟؟ أبدا . إن من حقها ألا تقبل مثل هذا الوضع والإسلام يعينها على هذا ، ويمكنها أن ترفض مثل هذا الاعتداء ، فيفرق بينها وبين زوجها الذى يعتدى عليها بالضرب .

ضرب زوج أم جميل بنت عبد الله زوجته هذه ، فشكت ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم حالها ، فطلب منها أن تباريه ، فقبلت فطلق عليه . فهل كانت الزوجة المسلمة مرغمة على المعاشرة . حتى ولو ساءت أخلاق زوجها ؟

إن الذين يهاجمون الإسلام من هذه الناحية يعرفون مكانة المرأة المسلمة فى المجتمع الإسلامى ، ورغم هذا فهم يهاجمون . فما حيلتنا مع من يعرف ثم يتجنى وينكر ؟ لا شك أن الحيلة فيه قليلة !!

كانت مليكة أم السائب ، تبيع العطر فى المدينة ، أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهل منعها الإسلام من التكسب حتى من الكماليات (أسد الغابة ج ٧ ص ٢٧٠) .

فهى إما كانت تبيعه فى بيتها ، فيتردد عليها المسلمات ، وإما أنها كانت تتردد هى على البيوت بائعة . وفى كلتا الحالتين تنقل ودخول وخروج . فمن حال دون ذلك ؟؟ لا أحد .

لا تظلمى نفسك

أيتها المرأة المسلمة ، أيتها الفتاة المسلمة ، لا تظلمى نفسك وتظلمى الإسلام معك ، بالتشدد فى أمور ما أنزل الله بها من سلطان !! ان لك من الحقوق فى هذا الدين ، ما لا يخطر لك على بال . ان الحشمة لك مطلوبة وأن التبذل منك مرفوض ، فتصرفى فى حدود هذه الدائرة ولا عليك من حرج .

هل تعلمين انه كان لكعيبة بنت سعد الأسلمية ، خيمة فى المسجد تداوى فيها الجرحى والمرضى ، وأنها شهدت خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهل كان عليها فى كل ذلك من بأس ؟؟ أو منعها أحد ممن يملك حق المنع تشريعا ؟؟ خوضى غمار العمل الذى يتناسب مع طبيعة تكوينك ، ولا يسبب لك شيئا من القيل والقال ، آمنة مطمئنة .

كل هذه الحقوق ، لم تمنع المرأة المسلمة من التمسك بالحياء الوافر ، والحشمة الكاملة ، والوقار الذى يجعل أنوثتها فى

حصن منيع من تطلع الآثمين ، والتحلى بالاخلاق الفاضلة ، والتمسك بآداب الإسلام السامية ، فلا يخرجها أى حدث جلل عما أمرها الله تبارك وتعالى أن تكون عليه ، من سمت المرأة التى ترى أن آداب دينها فوق كل شىء ..

استشهد رجل من الأنصار يدعى خلاد . فقيل لأمه يا أم خلاد : خلاد قتل . فأتت فى زيها الإسلامى المحتشم تسأل . فقيل لها خلاد قتل وتجيئين متنقبة ؟ قالت إن قتل خلاد فلم أرزأ حيائى (أسد الغابة ج ٧ ص ١٤٠) فهل من حرية المرأة أن تتهتك إذا رزئت ؟؟ أبدا والله ، انما الصبر عند الصدمة الأولى .

عدالة

ان للنساء أن يتدخلن بين الرجال ، اذا اشتدت الخصومة بينهم ، وخيفت الفتنة فقد خرجت أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها فى وقعة الجمل ، لعل الرجال يستحون منها إذا وقفت إليهم . ويرى بعض المفسرين فى قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ (الاحزاب ٣٣)أنها يحتمل أن يكون من الوقار أو أن يكون من القرار ، أو اقررن عينا فى بيوتكن (القرطبى ص ٥٢٦٠ طبعة دار الشعب)

ولمن شاء أن يأخذ من هذه المعانى ما يشاء ، فلا قيود مذلة على المرأة المسلمة فى الإسلام كما يتوهم المغرضون ، ما دامت تتمسك بتعاليم دينها . بل بلغ الأمر بابن حزم ، وهو من هو بين فقهاء المسلمين ، أنه أفتى بجواز ولاية الحكم للمرأة ، مستندا إلى قوله تبارك وتعالى :

﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ** ﴾ (النساء ٥٨) إذ يقول مفسرا ، إن هذا الخطاب موجه إلى المسلمين جميعا ، رجالا ونساء ، أحرارا وعبيدا ولا فرق بين أحد وأحد فى هذا الدين ، إلا إذا كان هناك نص ، والتخصيص فى النصوص ، حكم قاصر على ما جاء الاستثناء به .

ألا فليعلم من لم يكن يعلم أن المرأة المسلمة كان لديها من الجرأة المحمودة ، ما جعلها تتقدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . طالبة منه ألا يغلبها عليه الرجال ، وأن يجعل لها من دروسه حظا لا يكاثره فيه عليها الرجال . ولعلمه صلوات الله وسلامه عليه بمكانتها فى المجتمع الإسلامى ، أجابها راضيا إلى ما طلبته منه ، ولم يعب عليها ذلك ، فجعل من نفسه الطاهرة الزكية المعلم والمدرس الأول لها ، ليكون قدوة لمن بعده فى هذا المجال ، فلا مانع من أن يكون الرجل الصالح معلما ومربيا

للنساء .

جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوما ، فنأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله . قال : « اجتمعن يوم كذا وكذا » فاجتمعن ، فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهن مما علمه الله . (مسلم ج ٥ ص ٤٨٦ طبعة دار الشعب) .

وهكذا كانت المرأة المسلمة أول طالبة للعلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أستاذ لها ، ذلك فى الوقت الذى كانت فيه المرأة الغربية أو غيرها رمزا للشر ، وصورة من عمل الشيطان لا تغشى مجالس الرجال . ثم يقال بعد ذلك كذبا وافتئاتا أن الإسلام يحول بين المرأة ، وبين أخذها مكانها الصحيح فى المجتمع الإسلامى .

فتاة ترفض الأمير

وانظر كيف فهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذه المعانى السامية فطبقوها تطبيقا عمليا رائعا . عند تعاملهم مع المرأة .

خطب عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت أبى بكر رضى الله عنهما إلى عائشة ، فأطمعته . وقالت له : أين المذهب بها عنك ؟؟ فلما ذهب عمر ، قالت الجارية : أتزوجيننى من عمر ؟؟ وقد عرفت غيرته وخشونة عيشه ؟؟ والله لئن فعلت لاخرجن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولاصيحن به (أى فى قبره) ، إنما أريد فتى من فتيان مكة يصب الدنيا على صبا . فأرسلت عائشة رضى الله عنها إلى عمرو بن العاص ، فأخبرته الخبر . فقال لها : أنا أكفيك . وذهب إلى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، لو ضممت إليك امرأة ؟؟ فقال عمر عسى أن يكون ذلك فى أيامك هذه . قال عمرو : ومن ذكر أمير المؤمنين؟؟ قال عمر : أم كلثوم بنت أبى بكر . قال عمرو : مالك وللجارية تنعى إليك أباها بكرة وعشيا . قال عمر : أعائشة أمرتك بهذا ؟؟ قال عمرو : نعم . فتركها عمر وتزوجها طلحة بن عبد الله .

هذه ليست قصة ، ولكنها درس يعلمنا ، مدى حرية الفتاة المسلمة وجرأتها فى اختيار شريك حياتها ، ومن هو ؟؟ وما هى صفاته وتصرفاته ؟؟ إن الزواج من رئيس الدولة أمنية كل فتاة ، للمكانة التى ستحظى بها فى قومها ، ولكن للفتاة مطامع قد لا تتوفر فى رئيس الدولة ، فهى فى غنى عن مكانة لا توفر لها

راحة وسعادة تبتغيها كل فتاة فى فارس أحلامها ، فهى ترفض وفى علانية مستغيثة برسول الله صلى الله عليه وسلم فى مثواه الطاهر الكريم ولا يعتد أمير المؤمنين بمكانته ، ولا يحرجه أن ترفض الفتاة الزواج منه ، فيعدل راضيا غير غاضب ، لأنها تستعمل حقها الشرعى ، وهو أول من يعين على ذلك ، علما منه بأن الإسلام لا يرغم فتاة على الزواج بمن لا تريد .

هذا مكانك

هذا مكانك أيتها الفتاة المسلمة . وهذه حقوقك ، فاعرفيها ، وتمسكى بها ، ودافعى عنها لتتمتعى بها فى حياتك . واعرفى أيضا واجباتك ، وأديها ، كما تؤديها كل حرة عفيفة نبيلة . فبهذا وحده يتحقق احترامك فى مجتمعك .

بهذا الفهم السليم تساهمين فى تطبيق تعاليم دينك ، واعلاء شأن وطنك وبنات جنسك ونفسك . إن إسلامك يمنحك الحرية الحقة ، والمستوى الرفيع ، فادرسيه واعرفيه ، قبل أن تعرفى مدام مارسيل أو مدام بوفوار .

عرف أسلافنا الأمجاد مكانة المرأة فى الإسلام ، وأنها مخلوق يحس ويشعر ويفكر ويقدر فقد كان عمر بن الخطاب يستشير

النساء كما يستشير الرجال ، فقد كان يقدم الشفاء بنت عبد الله القرشية العدوية فى الرأى ويرضاه .

هل هضم الإسلام المرأة حقا استمتع به الرجال ؟ . أما آن لعداة الإسلام أن يبحثوا فى حربهم للإسلام ، عن ميدان غير ميدان المرأة ؟ إنى لاذكرك بأن سودة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، كانت تعمل الأديم الطائفى وتبيعه وتتصدق بثمنه (أسد الغابة ج ٧ ص ٨٧) .

إذا تزوجت المرأة المسلمة ، وعاشرت زوجها زمنا ، ثم أحست بالفتور العاطفى وعدم الارتياح إلى الزوج ، فمن حقها أن تطلب الفرقة وتنالها .

تزوج ثابت بن قيس بن شماس من جميلة بنت أبى سلام . فتركته ونشزت عليه . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما كرهت من ثابت » فقالت : والله ما كرهت منه شيئا إلا دمامته . فقال لها : « أتردين عليه حديقته » قالت نعم . ففرق بينهما (أسد الغابة ج ٧ ص ٥١) .

أليس فى هذا المراعاة الكاملة ، لنفسية المرأة ؟؟
هل يتركها الإسلام تعيش كارهة مع رجل لا تحبه ؟؟
أهذا هو نظام الحريم المفترى على الإسلام ؟؟

هل أضاع الإسلام لها أى حق يجب أن يتمتع به الإنسان ، كإنسان فى هذا الوجود .

ليس العجيب أن يحمل خصوم الإسلام على الإسلام ، بل العجيب أن يصدق بعض المسلمين ، وخاصة بعض المسلمات ، مثل هذه المفتريات ويقمن من أنفسهن مدافعات فى قضية خاسرة شكلا وموضوعا .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا مر بنساء ألقى عليهن السلام كما يلقيه على الرجال . قالت أسماء بنت يزيد : مرَّ بنا النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنا فى نسوة فسلم علينا ، فرددنا السلام ، أى أن أصواتهن لم تكن عورة ، وإلا فلو كانت عورة لنهاهن صلوات الله وسلامه عليه عن رد السلام .

هذا هو وقع المرأة المسلمة فى المجتمع الإسلامى ، فهل عند خصوم الإسلام من الأدلة الصحيحة ، ما يدحض هذه الحقائق الدامغة ؟؟

إن الإسلام ، وهو دين رب العالمين ، نظر إلى طبيعة تكوين المرأة ، وعدم قدرتها على مزاولة بعض ما يزاوله الرجل ، ودقة حساسيتها ، ودورها الكبير فى إدارة شئون المنزل ، ورعاية الأطفال والحنو عليهم حنوا مفتقدا عن

الرجال ، تجعل الجنة ، وهى غاية ما يصبو إليه المسلم ، جعل هذه الجنة تحت أقدام الأمهات ، وياله من تكريم للمرأة !!!

هذا إلى أن العطف على البنات وحسن تربيتهن ، والحنو عليهن يدخل آباءهن الجنة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيت رجلا من أمتى أمر به إلى النار ، فعلقت به بناته ، وجعلن يصرخن ويقلن : ربنا إنه كان يحسن إلينا فى الدنيا ، فرحمه الله بهن » (القرطبى ص ٤٠٣٣ طبعة دار الشعب) وأنها للفتة ربانية لم يحظ بها الذكور من الأبناء .

تقدير

إن الإسلام أثبت للمرأة كثيرا من المزايا ، لا يتمتع بها الكثير من الرجال . ويقول بعض العلماء أن القرآن أثبت للمرأة فراسة ، عندما تحدث عن ابنتى شعيب وسيدنا موسى عليهما الصلاة والسلام ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ (القصص ٢٦) فكانت بهذه النظرة الفاحصة العميقة ، زوجة لرسول من أولى العزم . وأثبت لها القرآن حسن الحيلة

عندما قالت أخت سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَـٰصِحُونَ ﴾ (القصص ١٢) فردت بذلك الوليد إلى أمه الواهلة ، بلباقتها .

وأثبت لها بعد نظرها وكياستها فى حسن إدارة شئون الحكم ، وأخذها بالشورى فهما وتطبيقا ، فى أدق الأمور ، وذلك بقوله الله تبارك وتعالى فى قرآنه العظيم عن ملكة سبأ المعروفة باسم بلقيس ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ (النمل ٣٢) فلما أكبروا شأنها ، وأيقنوا بسلامة تصرفها ، ردوا الأمر إليها ، فمضت فى بعد نظرها قائلة : ﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ (النمل ٣٥) .

وهكذا تكون المعرفة الحقة بإدارة شئون السياسة فى الأمم . وإنها فى تصرفها هذا لخير ألف مرة من كثير من الحكام الذين يستبدون برأيهم ، ويتصرفون وفق أهوائهم حتى ولو أوردوا شعوبهم موارد الهلكة والبوار .

وفى الوقت الذى كانت حكومات الشرق والغرب لا تساوى بين الرجل والمرأة فى غالب شئون الحياة ، إن لم يكن فيها كلها ، ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة حتى فى الدماء

فقال ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ (المائدة ٤٥) فلو قتل رجل امرأة أخذ بها . كذلك يرى بعض المفسرين أن من يمن المرأة أن تبكر بالأنثى ، استنتاجا من قوله تبارك وتعالى : ﴿ يهب لمن يشاء إناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور ﴾ حيث قدم سبحانه الأنثى على الذكر فى هذه الآية الكريمة ومما يرفع من شأن المرأة فى الإسلام من ناحية الرفعة والكمال ، أن الفقهاء يرون إذا اجتمع رجال بامرأة أجنبية فهو حرام ، بخلاف مالو اجتمع رجل بنسوة .

أعطاها ربها سؤلها

وقد عرفت المرأة المسلمة قدرها فى المجتمع الإسلامى ، وأنها لا تقل مكانة عن الرجل فيه وإذا ما رأت أنها قد فاتها حق من حقوقها فى هذا المجتمع ، طالبت به ، فى صراحة ووضوح فقد أتت أم عمارة الأنصارية النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء ، فأعطاها ربها سؤلها ونزلت الآية الكريمة ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ

وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب الآية ٣٥) .

وبعد ...

ترانى أيها القارىء لم أقدم لك نظريات ولا فلسفات ، ولكننى قدمت إليك الواقع التاريخى للمرأة فى المجتمع الإسلامى ، يوم أن كان المسلمون مستمسكون بدينهم ، ينفذون أوامره ويهجرون نواهيه ، فأخذت المرأة المسلمة وضعها الصحيح فى مجتمعها الإسلامى .

ويوم أن تراخت قبضات المسلمين فى التمسك بحبل الله المتين ، استنسر البغاث بأرضهم ، وتناولت الثعالب دينهم من هنا ومن هناك ، يشككون المسلمين فى أعظم منهاج ، وأسمى نظام يحفظ على الناس أمنهم واستقرارهم ورقيهم ومجدهم ، وذل من بالت عليه الثعالب .

وإنى من باب النصيحة للمسلمين ، خاصة الذين يتعرضون للكلام عن المرأة فى الإسلام أدلك على مؤلف قيم ، لم يسبقه فى استيفائه أحد .

(ذلك كتاب مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية) لمؤلفه الاستاذ المستشار سالم البهنساوى ، فإنك واجد فيه طلبتك . وإنى لأدلك على هذا البحث القيم للاقتناء ، ولكن للعلم والاطلاع ، والله من وراء القصد .

أيتها المرأة المسلمة ... سيدة أو فتاة ، قبل أن تقرئى لأى إنسان شيئا عن المرأة فى المجتمع الإسلامى ، أرجعى إلى قواعد دينك فى هذا المجال ، ترى ، أن مكانتك فى المجتمع الإسلامى لا تدانيها أية مكانة ، فى أى مكان آخر ، وأن حقوقك فى دينك لا ترق إليها حقوق فى أى مصدر آخر . فاعرفى دينك ... تسلمى ، واغترفى من مناهله ... تغنمى .

* * *

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
الرجال قوّامون	٩
مساواة	١٢
قدوة حسنة	١٥
مخلوق كريم	١٥
انسجام عاطفى	١٦
مكانة رفيعة	١٧
مزاح برىء	١٨
حرية كاملة	١٨
عمل المرأة	٢٠
لا إرغام للمرأة	٢١
حرية ابداء الرأى	٢٢
مشاركة	٢٣
تضحية	٢٥
ظلم وتجن	٢٧

الموضوع	الصفحة
المرأة فى المجتمع الإسلامى	٢٨
سفر المرأة	٣٠
تعليم المرأة	٣٢
تكريم للمرأة	٣٢
زينة المرأة	٣٣
درس عظيم	٣٥
حرية	٣٨
لا تظلمى نفسك	٣٩
عدالة	٤٠
فتاة ترفض الأمير !	٤٢
هذا مكانك	٤٤
تقدير	٤٧
أعطاها ربها سؤلها	٤٩

* * *

دار النصر للطباعة الإسلامية
١٢ الشاطي - شبرا مصر